عزالدين القسام. وانهم اتصلوا، بعد قتلهم طوليدانو، بابراهيم طاهر نواهضة، من قرية اليامون، في قضاء جنين، حيث زوّدهم بمبلغ من المال لشراء سيارة ومعدات قتالية (القدس العربي، مصدر سبق ذكره).

امّا على صعيد التنظيم العسكري لحركة «حماس» فقد كشفت أجهزة الامن الاسرائيلية، استناداً الى ما أجرته من تحقيقات، انه كان تمّ تشكيل ثلاث قيادات مختلفة هي: القيادة الشمالية، والقيادة الوسطى، والقيادة الجنوبية. وقد أجرت القيادات الثلاث اتصالات مع الجناح العسكري لـ «حماس» في قطاع غزة. كما ساهم بعض المطلوبين في قطاع غزة في تشغيل خلايا «حماس» في الضفة، ومنهم عماد عقال ومحمد دخان. وكانت القيادات الثلاث تتلقى توجيهات من قيادة «حماس» في الخارج وتتسلم منها مبالغ مالية (المصدر نفسه).

ولكن، الى أي مدى أثّرت الهجمة الامنية هذه في بنية المنظمة الاصولية التي تلقت، على امتداد الشهور الستة الماضية، ضربات عدّة متتالية؟

في الواقع، أنه اذا كان لأي من الضربات الامنية ضد «حماس» من تأثير فالأمر يخص الضربتين الاخيرتين الكبيرتين اللتين لا يمكن اغفال تأثيراتهما على الوضع العالم للمنظمة الاصولية الأبرز بين مثيلاتها. فقد أضعف ابعاد نحو ٤٠٠ من أنصار «حماس» في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٢ من أوضاعها التنظيمية، حيث اشتمل ذلك على عناصر الصف القيادي الاول والثاني. امّا الضربة الاخيرة التي أسفرت عن اعتقال مئة وعشرين ناشطاً فقد طاولت بالاساس التنظيم العسكري وهيكليته. وعلى الرغم من ذلك، فان اضعاف «حماس» وتقليص نشاطاتها نتيجة هاتين الضربتين لم يقضِ على هيكليتها (ربى الحصري، «اسرائيل تضعف حماس بضربات متتالية»، الحياة، لندن، ١٩٩٣/٧/٢٢). وذلك، كما رأى المحاضر في جامعة النجاح، د. اياد البرغوثي، لأن «حماس» تمتاز بسهولة اعادة بنائها في وجود أشخاص على استعداد كبير للتضحية في سبيل الله (المصدر نفسه)؛ وكذلك، بسبب مقدرة «حماس» في الحفاظ على استقلالية خلاياها (عزالدين القسام)، وكأن كلاً منها منظمة قائمة بذاتها. وقد ساعد هذا في الحدّ من اتساع تأثير الاعتقالات الاخيرة (المصدر نفسه).

وعلى الرغم من ذلك، فثمة اتفاق عام على ان ما وقع في الآونة الاخيرة أضعف، بصورة عامة، من نشاط «حماس». فالبرغوثي، مثلاً، اعتبر غلق الارض المحتلة، والحد من حركة المواطنين بين الضفة والقطاع وبين شمال الضفة وجنوبها، وفصل القدس عن بقية الارض المحتلة، كان له، جميعه، تأثير في هذا الاتجاه (المصدر نفسه). وهذا، أيضاً، ما أكدته مصادر في «حماس» نفسها ذكرت، ان غلق الارض المحتلة، منذ نهاية آذار (مارس) الماضي، حدّ من عدد الهجمات المسلحة التي تقوم بها «خلايا عزالدين القسام» (القدس العربي، ١٩٩٣/٦/١٦). امّا في الجانب الاسرائيلي الذي بدا في لحظة اعلان القبض على مئة وعشرين من أنصار «حماس» وقد احتفل بتوجيه الضربة الاخيرة، فقد سارعت أوساطه الى تهدئة المنفعلين بهذا «النصر» والانفعالات التي رافقته. فاضطر رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، الى الاعلان، بعد ذلك، بأنه «لم تتمّ تصفية الارهاب وهو موجود». فيما قال الجنرال، ايهود براك، ان الكفاح ضد الارهاب لم ينته، ولم تنته الخلايا التي ستحاول متابعة تنفيذ عمليات مسلحة في داخل الارض المحتلة ووراء الخط الاخضر (يؤاف كسبي، «عملية الابعاد الاخيرة كانت خاطئة»، القدس العربي، ١٩٩٣/٦/١٤؛ نقلاً عن عل همشمار، ١٩٩٣/٦/١١). وكتب كسبي: انه يجب النظر الى عملية الاعتقال الاخيرة من وجهة نظر المعايير النسبية، أكثر ممّا أجري، حتى الآن، في أجهزة الاعلام، ومن ذلك اقدام رابين على خطوة غير مسبوقة بعقد مؤتمر صحافي عاجل، قاطعاً البث التلفزيوني والاذاعي ليتحدث عن العملية الامنية. فهذا التصرف من جانب رابين «لا يعود بالذات الى عظمة وأهمية الانجاز، بقدر ما يعود الى حاجته، شبه اليائسة، الى تقديم انجاز ما الى الجمهور» (المصدر نفسه).

أزمة زاحفة

كشفت وقائع الشهرين الماضيين عن